

المؤثرات الغربية في الخطاب النقدي للناقد عبد القادر فيدوح

Western Influences in Abdelkader Fidouh's Critical Discourse

* سعاد طبوش

Souaad tebbouche

مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة (LRELLDT)

جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل (الجزائر)

University of Jijel - Mohammed Seddik Benyahia (Algeria)

souaad.tebbouche@univ-jijel.dz

تاريخ النشر: 2026/06/02

تاريخ القبول: 2026/04/12

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

ملخص البحث

يتناول هذا المقال حضور المناهج النقدية الغربية في المشروع النقدي للناقد الجزائري عبد القادر فيدوح، في سياق التحولات المعرفية التي شهدتها النقد العربي المعاصر، ولا سيما انتقاله من المقاربات الانطباعية إلى التحليل المنهجي للنص الأدبي. وينطلق من إشكالية مركزية تتمثل في تحديد طبيعة توظيف هذه المناهج: أهو توظيف يقتصر على الاستعارة النظرية، أم يتجاوز ذلك إلى إعادة إنتاجها ضمن أفق ثقافي عربي.

يعتمد البحث مقارنة تحليلية مقارنة ذات بعد إبستمولوجي، بغرض تفكيك المرجعيات الفكرية التي أسهمت في تشكيل خطابه النقدي، مع التركيز على كيفية توظيف مفاهيم التأويل والسميائيات وبعض آليات التفكيك وجمالية التلقي في مقارنة النصوص الأدبية.

وتشير النتائج إلى أن فيدوح انتهج مساراً نقدياً قائماً على تكييف المناهج الغربية وإعادة صياغتها بما يستجيب لخصوصية النص العربي، بما أفضى إلى بناء مقارنة تحليلية تتسم بالصرامة المنهجية والانفتاح التأويلي. الكلمات المفتاحية: نقد عربي معاصر - تأويل - سمياء - تفكيك - تلقي - نص أدبي.

Abstract:

This article examines the presence of Western critical methodologies in the work of the Algerian critic Abdelkader Feddouh, in light of the epistemological shifts that have shaped contemporary Arab criticism, particularly its move from impressionistic readings to systematic textual analysis. It addresses a central question: does his engagement with these methodologies remain limited to theoretical borrowing, or does it involve their reconfiguration within an Arab cultural framework?

* سعاد طبوش: souaadtebbouche@gmail.com

The study adopts a comparative analytical approach with an epistemological orientation to examine the intellectual foundations of his critical discourse. It focuses on his use of key concepts, including hermeneutics, semiotics, selected deconstructive strategies, and reception aesthetics in the analysis of literary texts.

The findings indicate that Feddouh reworks Western methodologies to accommodate the specificity of the Arab text, resulting in an analytical approach marked by methodological rigor and interpretive openness.

Keywords: Contemporary Arab criticism – Hermeneutics – Semiotics – Deconstruction – Reception – Literary text.



مقدمة:

شهد الخطاب النقدي العربي المعاصر، منذ النصف الثاني من القرن العشرين، تحولاً معرفياً/إبستمولوجياً ملحوظاً أعاد تشكيل طبيعة الممارسة النقدية وأدواتها التحليلية. فقد انتقل النقد تدريجياً من نمط القراءة الذي كان يقوم على الانطباع الشخصي والتذوق البلاغي، حيث تغلب الأحكام الذوقية والتقديرية الجمالية العامة، إلى مقاربات أكثر وعياً بالأسس النظرية التي تؤطر عملية قراءة النص الأدبي. وقد ارتبط هذا التحول بانفتاح النقاد العرب على منجزات الفكر النقدي الحديث في الثقافة الغربية، الأمر الذي أتاح لهم الاطلاع على منظومات تحليلية جديدة تسعى إلى فهم النص الأدبي بوصفه بنية لغوية ودلالية معقدة.

وفي هذا السياق برزت مجموعة من المناهج النقدية التي أسهمت في توسيع أفق القراءة الأدبية، من بينها المقاربات البنيوية والسميائية والتحليل النفسي إلى جانب الاتجاهات التي تعنى بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للنص. وقد وفرت هذه المناهج أدوات مفاهيمية مكّنت النقاد من الانتقال من مستوى التلقي الانطباعي إلى مستوى التحليل المنهجي الذي يهتم بالكشف عن العلاقات الداخلية التي تنظم عناصر النص، كما يسعى إلى استكشاف الأنظمة الدلالية والآليات التعبيرية التي يتشكل من خلالها المعنى.

غير أن تفاعل النقد العربي مع هذه المناهج لم يتخذ طابع النقل الحرفي أو الاستنساخ النظري، بل اتجه في كثير من الأحيان إلى محاولة استيعاب هذه الرؤى وتكييفها بما ينسجم مع خصوصية التجربة الأدبية العربية وسياقاتها الثقافية والتاريخية. وقد أسهم هذا المسار في بلورة وعي نقدي أكثر نضجاً، يقوم على الجمع بين الاستفادة من الأدوات المنهجية الحديثة وبين مراعاة الخصوصية اللغوية والثقافية للنصوص العربية، الأمر الذي أفضى إلى ترسيخ ممارسة نقدية أكثر عمقاً وتنظيماً، تتأسس على التحليل الدقيق والوعي بالإشكالات النظرية التي تحكم عملية قراءة النص الأدبي.

وانطلاقاً من هذا الإطار النظري الذي يحيط بتجربة عبد القادر فيدوح النقدية، تتبلور الإشكالية المركزية لهذا البحث في محاولة استجلاء طبيعة العلاقة التي أقامها هذا الناقد مع المناهج النقدية الغربية الحديثة. فهل اقتصر حضور هذه المرجعيات في مشروعه على مستوى الاستحضار النظري والتفسير المفاهيمي، بحيث ظل توظيفها محكوماً بمنطق النقل وإعادة العرض؟ أم أن مقارنته النقدية تجاوزت حدود التلقي المباشر لتندرج ضمن فعل معرفي أكثر تركيبيًا، يقوم على استيعاب تلك المناهج وإعادة تشغيل أدواتها داخل أفق ثقافي عربي، بما يسمح بإنتاج قراءة نقدية جديدة تتفاعل مع الخصوصية التاريخية والحضارية للنصوص الأدبية العربية؟

وبعبارة أخرى، يسعى هذا البحث إلى تقصي ما إذا كان تعامل فيدوح مع المنجز النظري الغربي يمثل مجرد امتداد تطبيقي لمقولاته المفهومية، أم أنه يشكل محاولة لإعادة صياغة هذه الأدوات المنهجية ضمن منظور نقدي يزوج بين المرجعية النظرية الحديثة ومتطلبات السياق الثقافي الذي تنتمي إليه التجربة الأدبية العربية. ومن ثم تنصب الدراسة على فحص الكيفية التي تحولت بها هذه المناهج، داخل مشروعه النقدي، من أدوات وافدة إلى آليات تحليلية قادرة على إنتاج معرفة نقدية تتسم بقدر من الاستقلال والتأصيل.

تستمد هذه الإشكالية أهميتها من طبيعة الجدل الذي طبع مسار النقد العربي المعاصر في تعامله مع المناهج النقدية الغربية. فقد تشكلت داخل هذا الحقل اتجاهات متعددة يمكن اختزالها في مسارين رئيسين؛ يتمثل أولهما في نزعة تميل إلى استحضار تلك المناهج في صورتها الأصلية، حيث يجري تطبيق مفاهيمها وإجراءاتها التحليلية بصورة قريبة من نماذجها النظرية كما تشكلت في سياقاتها المعرفية الأولى، مع إدخال تعديلات محدودة لا تمس جوهر بنيتها المفهومية. أما المسار الثاني فينطلق من تصور مغاير يرى أن الإفادة من المنجز النقدي الغربي لا تكتمل إلا عبر إعادة التفكير في أدواته ومقولاته ضمن أفق ثقافي عربي، بحيث تتحول هذه المناهج من أنساق نظرية وافدة إلى أدوات تحليلية مندمجة في السياق الفكري والحضاري الذي تنتمي إليه النصوص المدروسة.

وفي هذا الإطار يبرز المشروع النقدي لعبد القادر فيدوح بوصفه نموذجاً دالاً على هذا المسعى التأصيلي، إذ يتجه إلى استثمار المنجزات المنهجية الحديثة مع السعي إلى إعادة موضعها داخل فضاء ثقافي عربي يأخذ بعين الاعتبار خصوصياته التاريخية والمعرفية. ومن ثم تكتسب دراسة تجربته النقدية أهمية خاصة، لأنها تتيح فحص الكيفية التي يمكن من خلالها إقامة علاقة تفاعلية بين الحداثة النقدية ذات المرجعية الغربية وبين متطلبات السياق الثقافي العربي، بما يفتح المجال أمام صياغة ممارسة نقدية تجمع بين الانفتاح المنهجي والوعي بالخصوصية الحضارية.

تطلق إشكالية هذا البحث من الرغبة في فهم العمق المعرفي الذي يرتخيه مشروع عبد القادر فيدوح النقدي، عبر تفكيك مكوناته النظرية ومنهجيته التحليلية. ويمكن تبين محاور الدراسة الأساسية على النحو التالي:

1- تحديد المرجعيات الغربية التي شكلت الأساس النظري لخطابه النقدي، وفهم الأسس التي استقى منها أدواته التحليلية.

2- استكشاف الطريقة التي وظف بها هذه المرجعيات، وكيف تحولت من مفاهيم نظرية مستقلة إلى أدوات تطبيقية ضمن مقارباته النقدية.

3-رصد أساليب التكيف المعرفي التي اعتمدها لإعادة صياغة هذه المناهج بما يتوافق مع الخصوصية الثقافية والنصية للأدب العربي.

4-وضع مشروعه ضمن الإطار العام للنقد العربي المعاصر، لتحديد موقعه بالنسبة للاتجاهات السائدة ومساره في رسم خريطة التفاعل بين التراث والحداثة النقدية.

ومن خلال هذه المحاور يسعى البحث إلى الكشف عن دينامية المشروع النقدي لفيدوح، ليس فقط كإسهام فردي، بل كنموذج يمثل نقطة تقاطع معرفية بين الحداثة الغربية والخصوصية العربية، مما يتيح فهمًا أعمق لكيفية إدماج أدوات النقد الحديث داخل السياق الثقافي المحلي دون المساس باستقلالية التحليل النقدي.

تتبنى هذه الدراسة موقفًا نقديًا محددًا يقوم على معالجة سؤالين منهجيين جوهريين. السؤال الأول يركز على المرجعيات الغربية التي استند إليها عبد القادر فيدوح في تأسيس مشروعه النقدي، بما يشمل المفاهيم والأطر النظرية التي شكلت أدواته التحليلية. أما السؤال الثاني فيعني بكيفية إدماج هذه المنهجيات داخل قراءة النصوص الأدبية العربية، وكيف تحولت هذه الأدوات إلى آليات نقدية مبتكرة تتجاوز الحدود التقليدية للنقد العربي الكلاسيكي. ولا يقتصر البحث على مجرد حصر هذه المناهج أو وصفها، بل يتجه نحو تحليل طبيعة العلاقة التفاعلية التي أقامها فيدوح بين هذه المرجعيات الغربية ومواد التجربة النقدية العربية. ويهدف ذلك إلى استجلاء البنية الإنتاجية للمشروع النقدي، وفهم الدور الذي لعبه في تطوير خطاب نقدي عربي معاصر قادر على الجمع بين الوعي المنهجي الحديث والافتتاح على الخصوصية الثقافية للنص العربي. ومن خلال هذا المنظور، يمكن تحديد كيفية تحول الأدوات الغربية من مفاهيم جاهزة إلى مقاربات نقدية مركبة، تمكن من إعادة إنتاج المعرفة النقدية بطريقة تراعي السياق الثقافي والتاريخي للأدب العربي.

1-إشكالية استيراد المناهج في النقد العربي:

شهد النقد العربي تحولًا معرفيًا عميقًا مع دخول منهجية البنيوية إلى حقل الدراسات الأدبية، إذ لم يكن مجرد إضافة نظرية أو استكمالًا شكليًا للممارسات التقليدية، بل شكل نقطة انعطاف أساسية أعادت تشكيل تصور المعرفة النقدية نفسها. تحول النقد العربي من مرحلة كانت تركز على المؤلف وظروفه التاريخية والاجتماعية - حيث كانت القراءة تميل إلى التأثير البلاغي والانطباع الشخصي - إلى مرحلة تتعامل مع النص بوصفه ببنوية مستقلة بذاتها، ذات علاقات داخلية متكاملة يمكن كشفها وتحليلها بشكل منهجي (درويش، 2008: 45-50).

هذا التحول لم يقتصر على تغيير الأدوات، بل أعاد النظر في طبيعة المعرفة النقدية نفسها، ليصبح النص مجالًا معرفيًا يمكن تحليله وفق أطر منهجية تكشف البنى الدلالية والوظائف الداخلية، بدل الاختصار على القراءة الانطباعية أو البلاغية. وبذلك، يشكّل هذا الانتقال مثالًا واضحًا على ما يمكن تسميته "القطيعة المعرفية"، حيث تُعيد المناهج الغربية إنتاج التجربة النقدية العربية ضمن أفق أكثر تنظيمًا واضباطًا، مع الحفاظ على خصوصية النصوص وسياقاتها الثقافية والتاريخية.

يعني هذا التحول أن النص لم يعد يُنظر إليه كمجرد انعكاس لشخصية المؤلف أو سياقه التاريخي، بل كنظام دلالي معقد، تتفاعل فيه عناصره المختلفة – الرموز، الصور، البنيات السردية أو الشعرية، والأساليب اللغوية – وفق قوانينها الخاصة (Barthes, 1967: P12).

يمثل التحول الذي طرأ على الخطاب النقدي العربي مع دخول المنهجية البنيوية نقطة فاصلة في فهم النص الأدبي، إذ لم يعد يُنظر إلى النص كمجرد انعكاس لتجربة المؤلف أو لسياقه التاريخي والاجتماعي، بل أصبح يفهم كنظام دلالي متكامل. في هذا النظام، تتشابك العناصر المختلفة للنص – من رموز وصور إلى بنيات سردية أو شعرية وأساليب لغوية – ضمن شبكة علاقات داخلية تتيح توليد المعنى من خلال التفاعل بين هذه المكونات، وليس عبر الانطباع الشخصي أو القراءة البلاغية التقليدية. هذا التحول يمثل ما يمكن وصفه بقطيعة معرفية حقيقية، إذ يتيح للناقد العربي تجاوز حدود القراءة الانطباعية إلى مستوى أعمق من التحليل، حيث يصبح النص مجالاً لإنتاج الدلالات بدلاً من كونه وعاءً للمعنى الجاهز.

وبهذا المعنى، يفرض فهم النص كنظام دلالي على النقد العربي اعتماد أدوات منهجية دقيقة تمكنه من دراسة البنية الداخلية للنص وفك رموزها وتحليل آليات اشتغالها. إن إدراك النص على هذا النحو يسمح بفهم ديناميكية العلاقات بين عناصره، وبالتالي الكشف عن الطبقات المختلفة للمعنى التي قد يخترنها النص، ويعطي للناقد القدرة على استكشاف إمكانات القراءة المتعددة. في المقابل، فإن هذا التوجه النقدي يفرض على الناقد إعادة التفكير في دوره، من مجرد قارئ يقدم أحكاماً أو تقييمات جالية، إلى فاعل معرفي يساهم في توليد فهم جديد للنص عبر دمج أدوات التحليل المنهجي مع الانتباه إلى خصوصيات السياق الثقافي الذي ينتمي إليه النص.

يتضح من هذا التحول أيضاً أن النقد العربي المعاصر لم يعد ممارسة شكلية تهدف إلى النقل الحرفي للمناهج الغربية، بل أصبح عملية تأصيلية تقوم على التفاعل المعرفي بين الأدوات النظرية والمنظور الثقافي العربي. إن الاستفادة من المناهج الغربية مثل البنيوية أو السيميائية أو التفكيكية لا تتم بشكل مباشر، بل تخضع لآليات تكيف وإعادة إنتاج تتيح دمج هذه المنهجيات في قراءة نصوص عربية محددة، بحيث تتحول من أدوات أجنبية إلى أدوات نقدية ذات أفق محلي. وبذلك، يصبح مشروع النقد العربي أكثر قدرة على الجمع بين الافتتاح على الحداثة النظرية والالتزام بالخصوصية الثقافية، مما يعزز إنتاج معرفة نقدية مركبة ومتوازنة بين النظرية والتجربة.

في النهاية، يمكن القول إن اعتبار النص كنظام دلالي متكامل قد أتاح للخطاب النقدي العربي آفاقاً جديدة في فهم النصوص، حيث تتعدد مستويات المعنى وتتفاعل مع القارئ وسياقه الثقافي والاجتماعي. هذا الفهم يسمح للناقد ليس فقط بتقييم النصوص، بل بتفكيك بنيتها الداخلية، واستكشاف آليات اشتغالها، وإعادة إنتاج أدوات النقد بطريقة تراعي الخصوصية الثقافية والتاريخية، وهو ما يشكل نقلة معرفية نوعية في مسار النقد العربي الحديث. وقد أسست البنيوية العربية على هذا المنظور قدرة النقد على دراسة النصوص العربية من داخلها، بدلاً من قراءتها من الخارج، بما يعزز استقلالية النص ويحرر التحليل من الإفراط في التفسير الشخصي أو التاريخي (فيدوج، 2005: 115).

ومن ثم، أحدثت البنيوية تغييراً جوهرياً في وظيفة الناقد العربي، حيث أصبح الناقد ليس مجرد قارئ أو مراقب، بل باحثاً تحليلياً ومنهجياً، يمارس تفكيك النصوص وفق قواعد بنيوية محددة، مع التركيز على التفاعلات الداخلية بين العناصر المكونة للنص (Culler, 1975: 25).

كما أسهم هذا التحول في تأسيس أدوات معرفية جديدة، سمحت للناقد العربي بتطوير منهجيات قراءة دقيقة ومتعددة المستويات، قادرة على استيعاب التعقيدات الدلالية للنصوص الشعرية والسردية على حد سواء.

في السياق الجزائري، يعكس مشروع عبد القادر فيدوح هذا التحول بشكل نموذجي، إذ يمزج بين المنهجية البنيوية الغربية والوعي بالخصوصية الثقافية العربية (فيدوح، 2010: 75-82).

فهو يعتمد على تحليل البنية الداخلية للنصوص، ولكنه لا يغفل السياق الثقافي والمعرفي للمتلقي العربي، مما يتيح إنتاج قراءة نقدية توازن بين الدقة البنيوية والالتقاء الحضاري بهذا المعنى، فإن البنيوية لم تكن مجرد دخول أداة تحليلية جديدة، بل إعادة تعريف للنص، وللوظيفة النقدية، ولطبيعة المعرفة الأدبية نفسها، بما يجعلها خطوة محورية في مسار النقد العربي الحديث.

وقد أوضح "صلاح فضل" أن البنيوية حين دخلت إلى الساحة العربية أحدثت "صدمة منهجية" لأنها قلبت المفاهيم التقليدية حول المعنى والنص والقراءة (فضل، 1998: 45)، غير أن هذه الصدمة لم تؤدّ دائماً إلى استيعاب عميق، بل كثيراً ما تحولت إلى ممارسة شكلانية.

في الجزائر، كان السياق أكثر تعقيداً بسبب التداخل بين المرجعية العربية والفرنكفونية. ومن هنا، فإن قراءة مشروع فيدوح تقتضي إدراك هذا التعدد المرجعي الذي أسهم في تشكيل خلفيته النظرية.

2 موقع عبد القادر فيدوح في هذا التحول:

يمكن اعتبار فيدوح من الجيل الذي وعى مبكراً ضرورة تجاوز القراءة الانطباعية، فقد سعى في كتابه "دلائلية النص الأدبي" إلى تأسيس قراءة تستند إلى مفهوم العلامة والعلاقات الدلالية (فيدوح، 2005: 112-115) وهو في ذلك يتقاطع مع التصور السيميائي الذي يربط المعنى بالبنية لا بالمؤلف.

لكنه، في الوقت نفسه، لم يُلغ دور القارئ، بل أعاد الاعتبار للذات المؤولة، كما يظهر في كتابه *الرؤيا والتأويل*، حيث يؤكد أن النص لا يُستنفد في بنيته الظاهرة، بل يظل مفتوحاً على احتمالات دلالية متعددة (فيدوح، 2010: 67).

وهنا يظهر التأثير الواضح للهرمينوطيقا الغربية، خاصة عند غادامر (GADAMER)، الذي يرى أن الفهم هو اندماج أفق النص وأفق القارئ (Gadamer, 2004: 305)، غير أن فيدوح لا يتبنى هذا الطرح تبنيًا كاملاً، بل يعيد توجيهه داخل سياق ثقافي عربي، يجعل من التأويل فعلاً ثقافياً مرتبطاً بالهوية والمعنى الجمعي.

3- المؤثرات الغربية في الفكر النقدي الفيدوحي:

يُعَد الناقد عبد القادر فيدوح من أبرز النقاد العرب المعاصرين الذين أسهموا في تشكيل مشهد النقد الأدبي العربي من خلال دمج بين الإرث العربي في التأويل والنظريات الغربية الحديثة. يتناول هذا المقال المؤثرات الغربية الكبرى في مشروعه النقدي، مع إبراز كيفية استحداثه أدوات منهجية تجمع بين الأصول التأويلية العربية والمقاربات البنيوية والسيميائية والتأويلية الغربية في تحليل النصوص الأدبية.

برز مشروع عبد القادر فيدوح النقدي في أفق تحولات معرفية متسارعة، حيث حاول تجاوز النقد التقليدي بوصفه تفسيراً تقليدياً للمعنى، نحو نقدٍ بنيويٍّ تأويليٍّ بالكشف عن الدلالة العميقة داخل النص. وبهذا، أصبح فكره النقدي موثلاً لتلاحق راسخ بين الفكر العربي الكلاسيكي ومؤثرات غربية حديثة تنتمي إلى ما بعد البنيوية والنقد السيميائي.

إن المشهد النقدي العربي المعاصر يعكس توترًا معرفيًا بنيويًا بين الأصالة والانفتاح، بين المتوارث من التراث النقدي العربي الإسلامي وبين ما استجدّ من اتجاهات نظرية غربية في منتصف القرن العشرين وما بعده. يظهر هذا التوتر بشكل جليٍّ في كتابات النقاد الذين سعوا للارتقاء بالنقد الأدبي من مجرد وصف وتحليل بلاغي إلى نقد معرفي يستند إلى رؤية شمولية تستوعب النص كظاهرة ثقافية متعددة الأبعاد. وفي هذا السياق، يبرز عبد القادر فيدوح كأحد الأصوات النقدية الجزائرية الأكثر تأثيرًا في بناء رؤية نقدية معاصرة تجمع بين المصادر المعرفية الغربية والمرجعيات الثقافية العربية في تأويل النص، الأمر الذي يستدعي تفكيكًا دقيقًا لمنهجية ومصادره المعرفية.

يمكن النظر إلى دراسات النقد العربي السابقة التي تستوعب النص بشكل محصور في المنظور البلاغي واللغوي، مقابل مناهج حديثة تضع النص في شبكة دلالات ثقافية واجتماعية وفلسفية؛ ومن هذا المنطلق، يصبح مشروع فيدوح النقدي محكمًا لمحمّا لبحث التحولات التي طرأت على المنهج النقدي العربي في العصر الحديث. ويمكن اعتبار المنهج التأويلي والمقاربات السيميائية من أبرز المؤثرات الغربية التي تسهم في كشف ما وراء النص من علاقات دلالية عميقة؛ كما أن العوامل الثقافية والموقف الإبستمي للنقد نفسه تساعد في توجيه أدوات التحليل نحو قراءة أكثر شمولاً وعمقاً.

ولذلك، فإن "مقاربة فيدوح النقدية تستدعي إعمال نظرية التأويل (Hermeneutics) كجسر معرفي بين التراث النقدي العربي والإرث النظري الغربي؛ إذ يرى فيدوح أن النص لا يُدرك إلا من خلال عملية تفسير معقدة تتفاعل فيها الذات القارئة مع الدلالة النصية، وتتقاطع فيها البنية الداخلية للنص مع أفق القارئ الثقافي. كما يستند فيدوح في منهجيته النقدية أيضاً إلى السيميائية بوصفها آلية لفك رموز النصوص الشعرية وفهم دلالاتها المركبة، حيث يتحول كل نص إلى منظومة من العلامات الدالة التي تحتاج إلى تحليل تراكمي يستوعب السياق الثقافي والاجتماعي العام للنص وعدد من البنى الثقافية الأوسع.

هذان البعدان – التأويل والسيميائية – لا يمثلان فقط أدوات تحليل، بل يقومان بوظيفة معرفية تعيد بناء علاقة الخطاب بالنص والقارئ، مجسدة رؤية نقدية تضع النص في قلب شبكة علاقات دلالية ممتدة، لا تنتهي عند حدود الشكل اللغوي أو الجمالي فحسب، بل تتسع لتشمل سياقات أيديولوجية وثقافية وفلسفية متعددة.

أولا -التأويل عند عبد القادر فيدوج: مناهج معرفية وتأثيرات غربية:

ينطلق فيدوج من تصور التأويل بوصفه عملية معرفية متعددة المستويات تتجاوز التفسير اللغوي إلى مفاهيم أعمق تتعلق بالذات والقارئ والدلالة. يشير فيدوج إلى أن النص لا يمتلك وجودًا نهائيًا مستقلًا بذاته، بل يُنتج دلاليًا في لحظة لقاء القارئ به، حيث يصبح القارئ الفاعل الرئيسي في استكمال المعنى. وهذا يتماشى مع ما يعرفه النقد التأويلي الغربي الذي يرى أن النص لا يُستنفد بمجرد التحليل البنيوي، بل يحتاج إلى إعادة إنتاج دلالاته في فعل التلقي.

تؤكد الدراسات أن هذا التوجه يجعل من التأويل لدى فيدوج أداة لتفكيك الظلال الدلالية وكشف المعاني الخفية التي تتجاوز اللفظ إلى ما هو ثقافي واجتماعي. بذلك يصبح النص فضاء تفاعليًا متعدد الأبعاد، لا يكتفي بالمعنى الظاهر، بل يُحرّك النسق الداخلي للمعنى وفق آليات تفسيرية معقدة؛ وقد عبر فيدوج عن رؤيته هذه بقوله: "وإذا كان التأويل الذي نقصده في هذا البحث يقتحم الحياء واللامرئي في النصوص المعقدة، فذلك لأننا نرفض أن نكون مرآة للصورة، أو المرأة العاكسة، وإنما رغبتنا في الاندماج مع النص هو ما يشغل بالنا، ويعزز افتراضاتنا؛ لأن هناك مسوغات تدفعنا إلى ذلك، وفراغات تأسرنا، وتشدنا إلى تضاعيف النص وفيوضه" (فيدوج، 2009: 07).

وقد أجرت الأبحاث العلمية دراسة تحليلية لهذا الجانب في كتابات فيدوج، موضحة أن التأويل لديه يرتبط بفكرة الرؤيا النقدية التي تربط النص بالقارئ في علاقة ديناميكية، حيث يقوم التأويل بنقل المعنى من مستوى الدلالة الذاتية إلى مستوى الدلالة الثقافية والاجتماعية؛ يقول: "إن جمالية التلقي تخضع لمعايير التأويل التأملية المتجه نحو كومة من التساؤلات التي لا تستقر، ولا تنتهي إلى جواب" (فيدوج، 2009: 62)؛ يندرج هذا التصور ضمن أفق جمالية التلقي التي تعيد تموضع المعنى بوصفه حصيلة تفاعل تأويلي مفتوح لا كمعطى مكتمل داخل النص. فالتلقي، وفق هذا المنظور، ممارسة إبستمولوجية تأملية تُخضع الخطاب لسيرورة تفكيك مستمر، حيث تتوالد الدلالات عبر دينامية السؤال لا عبر يقين الجواب. إن النص هنا يغدو بنية احتمالية تقاوم الإغلاق، وتنتج فائضًا دلاليًا يؤجل الحسم ويؤسس لانزياح المعنى، بما ينسجم مع أطروحات التفكيكية. وعليه، فالجمالية لا تُقاس بوضوح الدلالة، بل بقدرة النص على إدامة القلق التأويلي وتوليد أفق لا نهائي من التساؤلات.

أهانز غيورغ غادامار (Hans-Georg Gadamer) والفكر الهرمينوطيقي:

تشكل الهرمينوطيقا عند غادامار إطارًا فلسفيًا لفهم النصوص، حيث يُنظر إلى النص ليس ككائن ثابت، بل كحدث تفاعلي بين النص والقارئ، وقد ركّز غادامار على مفهوم اندماج الآفاق (Fusion of Horizons)، الذي يشير إلى أن معنى النص يتحقق فقط من خلال التفاعل بين أفق النص التاريخي وأفق القارئ. في مشروع عبد القادر فيدوج، يُستثمر هذا المفهوم لتطوير الرؤيا التأويلية، التي تمثل صيغته الخاصة لقراءة النصوص العربية. فالنصوص عنده ليست مجرد تراكم لغوي أو شعوري، بل مسرح لتفاعل الثقافة والذات، حيث يشارك القارئ في بناء المعنى وفق وعيه الحضاري واللغوي.

يمثل هانس-غيورغ غادامار الذروة الفلسفية للهرمينوطيقا الحديثة، خصوصًا في كتابه المركزي الحقيقة والمنهج، حيث نقل التأويل من كونه تقنية لفهم النصوص إلى كونه بنية أنطولوجية للفهم ذاته. لقد تجاوز غادامار التصور الرومانسي عند

"شلايرماخر"، والتاريخاني عند "دلثاي"، ليؤسس لما سماه "اندماج الآفاق" (Fusion of Horizons) "، وهو المفهوم الذي سيصبح لاحقاً ركيزة أساسية في الفكر التأويلي المعاصر (Gadamer, 2004: 269).
ب-المبادئ الأساسية للميرمينوطيقا:

يؤكد غادامار أن الفهم فعل حوار بين النص والقارئ، أي أن النص لا يُقرأ بعزل عن أفق القارئ، بل يتحقق المعنى فقط في تفاعل الأفقين (Gadamer, 2004: 305) هذه العملية تتطلب وعياً بالمسبقات التاريخية والثقافية، لأن القارئ لا يبدأ من فراغ، بل من معرفته وتجربته التاريخية.

مفهوم اندماج الآفاق (Fusion of Horizons) هو جوهر النظرية، إذ يعني أن النص يفتح أفقه الخاص على القارئ، والذات القارئة بدورها تفتح أفقها على النص، لينبج الفهم كحدث تاريخي متفاعل (Gadamer, 2004: 269).

يقول غادامار: "الفهم ليس إعادة إنتاج لنية المؤلف، بل اندماج بين أفق النص وأفق القارئ في سياق تاريخي، فهو يرى أن الفهم لا يتم عبر إعادة إنتاج قصد المؤلف، بل عبر حوار تاريخي بين أفق القارئ وأفق النص؛ فالفهم ليس فعلاً محايداً، بل هو حدث تاريخي تتحرك فيه الذات المؤولة داخل شروطها الثقافية. يقول: "الفهم دائماً هو اندماج بين أفقين: أفق الماضي وأفق الحاضر (Gadamer, 2004: 305).

ويتجلى أثر هذه النظرية في توسيع نطاق القراءة النقدية، إذ يسمح لفيدوج بفهم النصوص الأدبية العربية ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي، مع إبراز التداخل بين المعنى اللغوي والدلالة الثقافية. على سبيل المثال، عند قراءته لنصوص الشعر العربي الحديث، يدمج فيدوج بين البنية الدلالية للنص والخبرة الثقافية للقارئ العربي، يقول: "النص وليد اللاوعي الجمعي وهذا التفاعل بين الواقع والنص هو الذي يكسبه ما اصطلاح عليه غولدمان بـ بنائية التوالد التي تتبلور في مخيلة المبدع متجاوزة المجتمع لتؤسس لواقع حلمها، فظرة المبدع للواقع بكل حملاته تتجسد في كتاباته وتمتزع مع بنيات النص لتولد دلالات أعمق لمجتمع الحلم والواقع المرتقب" (فيدوج، 1994: 9-10)، مما يمنح التحليل عمقاً معرفياً غير متاح في القراءة الغربية التقليدية. ويتيح هذا التوسع إمكانية تحليل النصوص عبر طبقات متعددة من الفهم: طبقة لغوية، طبقة دلالية، وطبقة حضارية، وهو ما يميز مشروعه كأداة نقدية عربية حديثة.

إن هذا التصور يجد صده بوضوح في خطاب عبد القادر فيدوج، خصوصاً في معالجته لمفهوم "الرؤيا" بوصفها لحظة تفاعل بين النص والذات القارئة، حيث تتحول القراءة إلى فعل تأويلي منتج للمعنى، لا مستهلك له (فيدوج، 2010: 72).

غير أن الفرق الجوهرى يكمن في أن فيدوج لا يمنح التاريخ سلطة مطلقة كما يفعل غادامار، بل يُبقي للنسق الثقافي العربي حضوراً موجّهاً للفهم. وهنا يظهر ما يمكن تسميته بـ "التوطين التأويلي"، أي إعادة صياغة المفهوم الغربي داخل أفق حضاري مختلف.

يؤسس غادامار نظريته في الفهم على مبدأ أن كل قراءة هي حدث تاريخي، وأن القارئ لا يدخل النص محايداً، بل يدخل بأفقه المسبق؛ إذ يشير غادامار إلى أن الفهم ليس إعادة بناء لنية المؤلف، بل هو اندماج أفقين في حدث لغوي.

هذا المفهوم (اندماج الآفاق) يقوم على ثلاث دعائم: تاريخية الفهم / مسبقات الوعي (Prejudices) / الحوارية اللغوية إذا انتقلنا إلى فيدوح، نجد في *الرؤيا والتأويل* أنه يتحدث عن "الرؤيا" بوصفها افتتاحاً دلاليًا يتحقق عبر التفاعل بين النص ووعي القارئ، لكنه لا يستعمل مفهوم "الاندماج" بل يفضل مفهوم "التكاشف"، حيث يرى أن النص يكشف ذاته عبر أفق القراءة.

المقارنة الدقيقة:

غادامار	فيدوح
الفهم حدث تاريخي	الفهم فعل ثقافي
اندماج آفاق	تكاشف رؤيوي
سلطة التراث	حضور الهوية

الفارق الجوهرى أن غادامار يؤسس الفهم داخل أفق تاريخي-فلسفي عام، بينما فيدوح يؤسسه داخل أفق ثقافي عربي. أي أن التاريخ عند غادامار أنطولوجي، أما عند فيدوح فهو سياقي حضاري. ومن هنا يمكن القول إن فيدوح لم يستنسخ الهرمينوطيقا، بل أعاد توجيهها نحو سؤال الهوية والمعنى العربي.

ج. التطبيق في مشروع عبد القادر فيدوح:

يستفيد الناقد عبد القادر فيدوح من هذه الفكرة لكنه يحولها إلى مفهوم *الرؤيا التأويلية*؛ ففي *"الرؤيا والتأويل"*:

«القراءة ليست مجرد تفاعل لغوي، بل هي حدث ثقافي حضاري.

النص لا يتحدد معناه خارج السياق الثقافي العربي، أي أن التفاعل بين النص والذات القارئة مشروط بالهوية الحضارية.

يتم الاستفادة من مسبقات القارئ، لكنها مرتبطة بالوعي العربي، أي أن فهم النص يعتمد على تكامل المعرفة الثقافية مع الدلالة اللغوية للنص.

إذن فالفارق بين غادامار وفيدوح هو *توطين الفهم*؛ فإذا كان غادامار يركز على أفق النص التاريخي بشكل عام، فإن فيدوح يربطه بالهوية الثقافية العربية.

«الرؤيا عند فيدوح ليست مجرد أداة لفهم النص، بل وسيلة لإنتاج معنى متجذر ثقافياً.

هذا يعكس قدرة مشروعه على الجمع بين النظرية الغربية والتطبيق المحلي بطريقة منهجية.

ثانياً- أمبرتو إيكو (Umberto Eco) وسمياء التأويل :

يشكل فكر أمبرتو إيكو حول السميائية إطاراً نقدياً لفهم النصوص باعتبارها أنظمة علامات متكاملة. يرى إيكو أن النص يحتوي على مجموعة من العلامات التي تشكل بنية مغلقة جزئياً، والقارئ هو من يفعل هذه العلامات وفق ما يسميه القارئ النموذجي (Model Reader) هذا القارئ يجب أن يلتزم بالحدود التي يفرضها النص، بحيث يُستثمر التأويل دون أن ينحرف عن مقاصد النص البنيوية. ومن هنا، فإن سميائية إيكو لا تتيح حرية مطلقة، بل توفر أداة منهجية لفك رموز النص وربط دلالاته ببنيته الداخلية.

يُعد "أمبرتو إيكو" من أبرز من مزجوا بين السيميائية والتأويل، خاصة في كتابه *القارئ في الحكاية* وحدود التأويل. لقد رفض إيكو الانفلات التفكيكي للمعنى، وميّز بين "التأويل" و"الإفراط في التأويل"، مؤكداً أن النص يفرض قيوده الداخلية على القارئ.

يؤكد إيكو أن النص ليس فضاءً مفتوحاً بلا حدود، بل هو بنية تُنتج ما يسميه "القارئ النموذجي" (Model Reader)، أي ذلك القارئ الذي يستجيب لاستراتيجيات النص الداخلية.

يرى "أمبرتو إيكو" أن النص آلة علامائية تتفاعل مع القارئ، لكن هذا التفاعل محدود بالقواعد البنيوية الداخلية للنص، وهو ما يمنع الانفلات المطلق للمعنى. (Over-interpretation)

-يقدم مفهوم "القارئ النموذجي" (Model Reader)، أي القارئ الذي يلتزم بحدود النص، ويستجيب لاستراتيجياته.

-يوضح في *حدود التأويل* أن النص ليس مطلقاً، لكنه يقيد القراءة داخل نظامه الداخلي. يقول إيكو: "النص كسول، يحتاج القارئ لإطلاق معناه، لكن ضمن قيود البنية".

في مشروع عبد القادر فيدوج، يتم توطين هذا المفهوم داخل النسق الثقافي العربي. فالنص عند فيدوج ليس مجرد علامات لغوية تتفاعل داخل إطار بنيوي عام، بل هو حامل للهوية الثقافية والقيم الحضارية، على سبيل المثال، عند قراءته للرواية العربية أو الشعر الحديث، يطبق فيدوج مبادئ السميائية لتحديد دلالة العلامات داخل السياق الاجتماعي والثقافي، بحيث يفسر القيم الرمزية والمعاني الضمنية وفق التاريخ والتجربة الحضارية للمتلقى العربي. بهذه الطريقة، تتحول العلامة عنده إلى مؤشر ثقافي وفكري، يتجاوز أداة تحليل مجردة إلى آلية لفهم الانتماء والهوية.

علاوة على ذلك، يدمج فيدوج بين السيميائية والهيرمينوطيقا، بحيث يصبح التأويل نشاطاً مزدوجاً: فك الرموز وفق البنية النصية، وفي الوقت نفسه إعادة إنتاج المعنى بما يتوافق مع الثقافة والهوية العربية. هذا التوسع يخلق قراءة نقدية عربية أصيلة، تجمع بين الدقة البنيوية للنص والوعي الثقافي للقارئ، ما يمنح مشروعه القدرة على تقديم نقد معمق للنصوص العربية دون الانزلاق في الانطباعية أو التفريط في البناء الدلالي.

هذا المفهوم قريب من تصور فيدوج لدور القارئ، حيث يرى أن القراءة عملية منظمة تستند إلى بنية النص ذاتها، لا إلى إسقاطات ذاتية حرة. ففي "دلائلية النص الأدبي" يشير إلى أن العلامة لا تُفهم إلا داخل شبكة علاقاتها الداخلية، وأن التأويل يجب أن يحترم النظام الدلالي للنص.

غير أن فيدوج يتجاوز إيكو حين يربط العلامة بسياقها الثقافي العربي، فيجعل من السميائية أداة لفهم الهوية، لا مجرد نظام دلالي مغلق.

أمن "القارئ النموذجي" إلى "الذات المؤولة"

يرفض إيكو القراءة المنفلتة، ويضع حدوداً للتأويل عبر مفهوم "القارئ النموذجي". فالنص عنده يبني قارئه، ولا يسمح بأي إسقاط حرّ. فالنص حسبه هو آلة كسولة خاملة تحتاج إلى تعاون القارئ وتفاعله مع ثباته، أما عند فيدوج، فنجد فكرة مشابهة حين يؤكد أن العلامة لا تُفهم خارج نسقها البنيوي أو خارج إطارها النصي. لكنه يضيف بعداً لم يتوقف

عنده إيكو، وهو البعد الثقافي المحلي للعلامة؛ أي الخصوصية المحلية والثقافية التي تكتسبها العلامة داخل إطار الحياة الاجتماعية والسياق المحلي.

من هنا نستنتج أن إيكو يركز على بنية النص، بينما يركز الناقد عبد القادر فيدوح على البنية+النسق الثقافي، إضافة إلى أن إيكو يحدّ التأويل منطقياً، بينما يحدّ فيدوح حضارياً. وهنا تتضح آلية التوطين: السيميائية تتحول من نظرية في إنتاج المعنى إلى أداة في قراءة الهوية. في دلالية النص الأدبي:

- يدمج فيدوح السيميائية مع السياق الثقافي، فيجعل من العلامة أداة لفهم الهوية العربية.

- القارئ يعمل ضمن النص، لكنه مرتبط بنسق حضاري وثقافي محدد.

- يفرض الإفراط في التأويل، لكنه يوسع دائرة المعنى إلى أبعاد حضارية لم يغطيها إيكو.

إن فيدوح انطلقاً مما سبق يعيد إنتاج السيمياء، لكنها ليست أداة تحليلية مجردة، بل وسيلة لفهم العلاقة بين النص والثقاف، وهذا ما يعكس توجهاً معرفياً عربياً واعياً، يوازن بين الحرية التأويلية وضوابط النص الثقافية.

ثالثاً: جاك ديريديا (Jacques Derrida) والتفكيكية:

تقوم التفكيكية عند ديريديا على فك مركزية المعنى والإجراء الدلالي، حيث يرى أن النصوص لا تمتلك معنى ثابتاً، وأن المعنى دائماً مؤجل ومتعدد، وتتمثل أبرز مفاهيمها في الاختلاف (Difference) واللعب الدلالي للنص، مما يتيح للقارئ كشف التناقضات الداخلية وإبراز التعدد الدلالي. في القراءة الغربية الكلاسيكية، قد يؤدي هذا التعدد إلى إغفال البنية الثقافية للنص أو تحييد السياق الحضاري، وهو ما تراه بعض الدراسات تحملاً للتطبيق النصي. شكّل جاك ديريديا ثورة فلسفية حين أعلن أن المعنى مؤجل باستمرار، وأن النص لا يمتلك مركزاً ثابتاً. في كتابه/الكتابة والاختلاف، يؤكد أن كل بنية لغوية تحتوي على تناقضاتها الداخلية، وأن القراءة التفكيكية تكشف ما يُقصى داخل النص.

إن التفكيك عند ديريديا ليس هدمًا، بل كشف للبنى الخفية التي يقوم عليها الخطاب. وهو ينطلق من مفهوم "الاختلاف (Differance)" الذي يشير إلى أن المعنى لا يتحقق إلا عبر الإرجاء والاختلاف في آن واحد.

في مشروع فيدوح، لا نجد تبنيًا صريحًا للتفكيكية، غير أن بعض تحليلاته تكشف نزوعاً إلى مساءلة المعنى الثابت، خصوصاً حين يؤكد تعدد الدلالات داخل النص الواحد، وأن القراءة لا تستنفد المعنى. لكن فيدوح لا يصل إلى إعلان "لا مركزية المعنى" كما يفعل ديريديا، بل يحتفظ بإمكانية تأويل منضبط داخل أفق ثقافي. وهذا يعكس موقفاً نقدياً وسطياً بين السيميائية المنضبطة والتفكيك الراديكالي.

ويبرز أثر التفكيكية عند فيدوح أيضاً في إعادة قراءة النصوص العربية بطريقة نقدية مبتكرة، حيث يسمح بفهم طبقات المعنى المختلفة، وتحديد تأثير كل رمز أو وحدة دلالية على البنية الكلية، مع ربطها بالخبرة التاريخية والمعرفية للمتلقي. وهكذا، يدمج فيدوح بين حرية التأويل وضرورة احترام الخصوصية الثقافية للنص العربي، ليكون التأويل أداة لإثراء النقد العربي وليس مجرد التلاعب الدلالي. ويمكن القول إن هذه الاستفادة الانتقائية من التفكيكية تمنح

مشروعه مرونة منهجية وعمقا تحليليا غير موجود في القراءة الغربية الصرفة، حيث الجمع بين التفكيك والانتماء الحضاري يخلق قراءة نقدية فريدة من نوعها ومتجذرة في الثقافة العربية.

إذن تقوم التفكيكية على تأكيد تعدد المعنى وإرجائه/النص لا يمتلك مركزا ثابتا، والمعنى دائما مؤجل/ القراءة تكشف التناقضات الداخلية للنص، وتفكك البنى المغلقة/ المفاهيم الأساسية: الاختلاف (Différance)، الانزياح الدلالي، ولعب الدوال.

إن فيدوح يمارس ما يمكن تسميته تفكيكا منضبطا، أي استفادة إجرائية دون تبني فلسفي كامل، وهذه الطريقة تسمح له بالمرونة في القراءة، دون الوقوع في عدمية ديريديّة، إلا أنه من المنهجية الإشارة إلى أن فيدوح لا يتبنى التفكيكية بشكل راديكالي، لكنه يستفيد من إمكانية مساءلة المعنى الثابت؛ ففي دلالية النص الأدبي يؤكد على تعدد الدلالات داخل النص، لكنه يربط التعدد بمرجعية ثقافية محددة، وهو ما بذلك يحقق توازنا بين الحرية التأويلية وحماية المعنى من الانحلال.

يؤكد ديريديا في سياقات أكاديمية كثيرة أن المعنى مؤجل دائما، وأن النص لا يمتلك مركزا ثابتا قارا، وهو ما يسميه "اللعب الحر للدوال"، لكن فيدوح لا يتبنى هذه الراديكالية؛ فهو يعترف بتعدد المعنى، لكنه يرفض نفي المركز بالكامل. ففي دلالية النص الأدبي يؤكد أن "الدلالة تتعدد لكنها لا تنفصل من نسقها الداخلي. من هنا يمكن إجراء التقابل التالي:

ديريدا	فيدوح
لا مركز	مركز ثقافي
تأجيل دائم	تعدد مضبوط
تقويض البنية	قراءة داخل البنية

إذن فيدوح يقف على مسافة من التفكيك؛ يستفيد من طاقته النقدية دون أن يتبنى عدميته الدلالية. رابعا-جمالية الاستقبال هانز روبرت ياوس (Hans Robert Jauss) وفولفغانغ إيزر (Wolfgang Iser): ارتبطت جمالية الاستقبال بمدرسة كونسطنس الألمانية، خاصة عند هانس روبرت ياوس وفولفغانغ إيزر. وقد طرح ياوس مفهوم "أفق التوقع"، الذي يعني أن القارئ يدخل النص محملا بخبرات سابقة تحدد طريقة فهمه، أما إيزر، فقد ركز على مفهوم "الفراغات النصية"، أي تلك المساحات التي يتركها النص ليملاها القارئ عبر فعل التخيل. تؤكد جمالية الاستقبال، كما طرحها ياوس وإيزر، على فاعلية القارئ في إنتاج المعنى داخل النصوص الأدبية؛ فياوس يرى أن النصوص تحدد أفق التوقع للمتلقى، أي أن القارئ يقرأ النص وفق توقعات مورثة من السياق التاريخي والاجتماعي، بينما يشدد إيزر على الفراغات النصية التي تملأ بفعل الخيال والوعي النقدي للمتلقى. هذه النظرية تحول القراءة من عملية سلبية إلى نشاط إنتاجي، حيث يصبح المعنى حاصلًا من التفاعل بين النص والقارئ. هذه المفاهيم تظهر بوضوح في خطاب فيدوح حين يتحدث عن "الذات القارئة" بوصفها شريكا في إنتاج المعنى. فهو لا يرى النص مكتملا بذاته، بل متحققا عبر فعل القراءة، وهو تصور يتقاطع مع نظرية التلقي دون أن يذوب فيها.

ياوس: القارئ يدخل النص وفق أفق التوقع التاريخي.

إيزر: النص يحتوي على فراغات يملؤها القارئ عبر فعل الخيال، والإبداع الديناميكي.

الهدف: تحويل النص من سلطة ثابتة إلى عملية إنتاجية بين النص والقارئ.

يتقاطع فيدوح -في تأكيده أن القراءة عملية إنتاج- مع هانس روبرت ياوس حين يؤكد أن القارئ يدخل النص بأفق توقع يحدد فهمه. لكنه يضيف أن هذا الإنتاج محكوم بمرجعية ثقافية جمعية. بينما يركز إيزر على "الفراغات النصية" التي يملؤها القارئ، أي أن القارئ عنده ليس فردًا معزولاً، بل ذاتًا منتمية.

ويتيح هذا التوسع لفيدوح إنتاج قراءة نقدية عربية متميزة، حيث تصبح العملية التأويلية أكثر عمقًا ودقة، فالقراءة عنده ليست مجرد تفسير للنص؛ بل إعادة إنتاج للمعنى ضمن أطر معرفية حضارية، ما يعزز الوعي بالهوية الثقافية ويجعل النص أداة لفهم الديناميات الفكرية والاجتماعية للمجتمع العربي. بهذا الأسلوب، يحقق فيدوح توازنًا بين الحرية التأويلية وضوابط الانتماء الثقافي، ويحول جمالية الاستقبال إلى منهج نقدي متكامل قادر على إنتاج قراءة عربية متجددة تستفيد من الأدوات الغربية دون الانصهار فيها.

من هذا المنطلق يقوم فيدوح بدور القارئ في إعادة إنتاج المعنى، لكنه يضيف البعد الثقافي: القارئ كان منتمي إلى سياق حضاري، ويضمن هذا التحكم في التأويل، ويجعل القراءة فعلًا معرفيًا وليس جماليًا فقط.

ومنه فمشروع فيدوح يوسع مفهوم جمالية الاستقبال ليشمل الهوية الثقافية، ويدمج التفاعل بين النص والذات مع الانتماء الحضاري، ويخلق بذلك قراءة نقدية عربية متميزة، يوسع من خلالها مفهوم جمالية الاستقبال ليشمل البنية المعرفية للنص وعلاقته بالذات القارئة، بحيث لا يقتصر التفاعل على مجرد توقع أو ملء فراغات نصية، بل يتضمن قراءة نسقية للمعنى داخل الأفق الحضاري العام. بمعنى آخر، القارئ العربي عند فيدوح ليس مجرد متلقٍ سلبي، بل فاعل نشط يشارك في إعادة إنتاج النص من خلال خبرته الثقافية ومكوناته المعرفية. هذا التوسع يتيح للباحث العربي أن يدرس النصوص ليس فقط باعتبارها أدوات جمالية، بل أيضًا كـ مؤشرات ثقافية وحضارية تكشف عن مكونات الهوية التاريخية والاجتماعية للقراء والمجتمع.

ومن جهة أخرى، يبرز أثر جمالية الاستقبال في مشروع فيدوح في التفاعل بين النص والفضاء الاجتماعي والتاريخي؛ فالنص عنده ليس كيانًا مغلقًا، بل فضاء مفتوحًا على التجربة الحضارية للمتلقى، حيث تتشكل القراءات وفق طبقات متعددة من الانتماء الثقافي والمعرفة المسبقة والخبرة التاريخية.

ومن هذا المنطلق، تصبح القراءة النقدية عند فيدوح عملية تأويلية مزدوجة: فهي تفكك النص على مستوى بنيته الدلالية، وفي الوقت نفسه تعيد بناء معناه في ضوء الثقافة والهوية العربية. هذا المنهج يتيح قراءة نقدية أكثر عمقًا، ويجعل النص أداة لفهم الديناميات الفكرية والاجتماعية والثقافية داخل المجتمع، وهو ما يمنح مشروع فيدوح أصالة معرفية ويؤكد قدرته على إنتاج نقد عربي متجدد يوازن بين الحداثة الفكرية والخصوصية الثقافية.

خاتمة:

- بينت هذه الدراسة أن التحولات التي شهدتها الخطاب النقدي العربي المعاصر لم تقتصر على مستوى الأدوات الإجرائية، بل مستت البنية المعرفية للممارسة النقدية ذاتها، إذ أصبح النص الأدبي يُقرأ ضمن أفق نظري يركز على بنيته الدلالية وعلاقاته الثقافية، بدل الاختصار على القراءة الانطباعية أو البلاغية التقليدية.
- أظهرت نتائج البحث أن المشروع النقدي للناقد الجزائري عبد القادر فيدوح يمثل تجربة دالة على هذا التحول، حيث يسعى إلى بناء مقاربة نقدية تستثمر منجزات الفكر النقدي الحديث مع الحفاظ على وعي واضح بخصوصية السياق الثقافي للنص الأدبي العربي.
- كشفت الدراسة أن فيدوح لا يتعامل مع المناهج الغربية بوصفها نماذج جاهزة للتطبيق، بل يعمل على إعادة توجيه مفاهيمها وأدواتها داخل أفق تأويلي يدمج التحليل البنيوي بالسياق الثقافي والحضاري، وهو ما يمنح قراءته طابعاً تركيبياً يجمع بين الدقة المنهجية والانفتاح التأويلي.
- كما أوضح التحليل أن توظيفه لمفاهيم التأويل والسمياء وبعض آليات التفكير وجمالية التلقي لا يأتي في إطار تجميع نظري للمقاربات، بل في سياق محاولة لبناء قراءة نقدية قادرة على استكشاف دينامية المعنى داخل النصوص الأدبية العربية.
- وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى تجربة فيدوح بوصفها نموذجاً لمحاولة توطين المناهج النقدية الحديثة داخل الثقافة العربية، بما يتيح إقامة علاقة تفاعلية بين المرجعيات النظرية العالمية والخصوصية المعرفية للنص العربي.
- وتفتح هذه النتائج المجال أمام دراسات لاحقة يمكن أن تتوسع في تحليل تطبيقات هذه الرؤية النقدية على نماذج نصية مختلفة، بما يسهم في تعميق فهم مسارات تطور النقد العربي المعاصر.

قائمة المراجع:

- Doland & Joel Weinsheimer Truth And Method. 2004. Hans Georg Gadamer
New York: Continuum. Marshall
- Structuralist Poetics: Structuralism, Linguistics And The Study Of literature. 1975. Jonathan Culler
Cornell: University Press
- Roland Barthes. 1967. Elements of semiology, Hill and Wang. New York
- صلاح فضل. 1998. نظرية البنائية في النقد الأدبي. القاهرة: دار الشروق.
- عبد القادر درويش. 2008. النقد العربي الحديث: تحولات منهجية وفكرية. الجزائر: دار الثقافة.
- عبد القادر فيدوح. 2009. إرادة التأويل ومدارج معنى الشعر. سوريا دمشق: دار صفحات.
- عبد القادر فيدوح. 2010. الرؤيا والتأويل: مقاربات في قراءة النص الأدبي. الجزائر: دار هومة.
- عبد القادر فيدوح. 1994. الرؤيا والتأويل مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة. دار الوصال.
- عبد القادر فيدوح. الجزائر. دلالية النص الأدبي. 2005: دار الأمل.